

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(195) 1. لماذا كشف العذاب عن قوم يونس دون غيرهم؟ صريح قوله سبحانه: (فَلَوْلَا
كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَتْهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لِمَ لَمْ
آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ) (1). إِنَّ أُمَّةَ يُونُسَ هِيَ الْوَحِيدَةُ الَّتِي نَفَعَهَا
إِيْمَانُهَا قَبْلَ نَزُولِ الْعَذَابِ وَكُشِفِ عَنْهُمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّ "لَوْلَا" التَّحْصِيصِيَّةُ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى الْفِعْلِ
الْمَاضِي تَفِيدُ مَعْنَى النِّفْيِ، كَمَا فِي قَوْلِكَ: هَلَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ، وَعَلَى ذَلِكَ يَكُونُ مَعْنَى قَوْلِهِ
سَبْحَانَهُ: (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ) إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ أَبَدًا، فَاسْتِقَامَ الِاسْتِثْنَاءُ بِقَوْلِهِ: (إِلَّا
قَوْمَ يُونُسَ)، وَالْمَعْنَى هَلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ مِنْ هَذِهِ الْقُرَى الَّتِي جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا فَكَذَّبُوهُمْ آمَنَتْ قَبْلَ
نَزُولِ الْعَذَابِ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا، لَكِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لِمَ آمَنُوا كَشَفْنَا
عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ. وَلَا شَكَّ أَنََّّهُ قَدْ نَفَعَ إِيْمَانَ قَوْمِ يُونُسَ وَلَكِنْ لَمْ يَنْفَعِ إِيْمَانُ فِرْعَوْنَ، وَعِنْدُنَا
يُطْرَحُ هُنَا السُّوَالُ التَّالِي: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِيْمَانَيْنِ؟ حَيْثُ نَفَعَ إِيْمَانُهُمْ دُونَ إِيْمَانِ الثَّانِي
وَأَتْبَاعِهِ، يَقُولُ سَبْحَانَهُ: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْيَمَّ وَالْقَارَ فَأَتَابَعَهُمْ
فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ
آمَنْتُ أَنِّي لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنْزَلْنَا مِنَ
السَّمَاءِ مِائِينَ * ءَالَآءَ الْقَدْرِ عَصِيَّتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ *
فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا
مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) (2) _____ 1. يونس: 98، 2. يونس: